

الترجمة والمعنى النص وسياقاته من منظور تأويلي

Translation and Meaning the Text and Contexts From Interpretative Perspective

د. الزاوي بوزريعة مختارية
أستاذة محاضرة "أ" معهد الترجمة جامعة وهران 1—
zaouimar@gmail.com

ملخص

تستند النظرية التأويلية في الترجمة - نظرية المعنى، كما تسمى أيضا بنظرية مدرسة باريس - على مبدأ الاشتغال على الخطاب/ النص وليس على اللغات . وتشتمل العملية الترجمية وفق هذا التصور (أي المنهج التأويلي) على ثلاث مراحل هي: الأولى الفهم، والثانية التفريغ، والثالثة إعادة صياغة النص في مجمله.

يتم التركيز على هذه الخطوات فيها بشكل خاص على مجموعة من العناصر المعرفية المكملية التي تساعد على فهم المعنى وإيجاد المكافئ المناسب وليس المقابل. وعليه، يمكننا القول بأن الترجمة هي ناتج قراءات معمقة تؤدي إلى الوصول إلى قصيدة كاتب النص.

الكلمات الدالة: النظرية التأويلية، المعنى، الترجمة، العناصر المعرفية، الفهم، التفريغ، الصياغة، القصيدة.

Abstract

The interpretative theory of translation or the theory of meaning, which is called also the theory of the Paris School, is based on the principle of working on speech/text and not on the language. And according to this perception (interpretative approach) the translation process includes three stages: The first is of understanding the content of the text, the second is on its deverbilization, and finally the third is on rewording or re-expressing the content of the text.

In these phases the focus is particularly on several complementary elements which help to understand the meaning and finding the appropriate reword and not the equivalent. The refore, we can say that translation is the result of in-depth readings that lead to the intention of the author of the text.

Keywords: Interpretative theory, Meaning, Translation, Cognitive elements, Comprehension, Deverbilization, Expression.

مقدمة

قبل ما يزيد عن ألفى سنة كان شيشرون وهوراس وجيرون قد أعابوا على غيرهم من المشتغلين بالترجمة، ميلهم إلى المحاكاة، كإجراء يحفظ للكاتب بصمته وللنص دلالاته وتراكيبه، وكانت حجتهم في ذلك أن الترجمة تقتضي احترام جوهر النص الأصلي لا بنيته، حرصا منهم على الأمانة (Fidélité en traduction) عند تناول أي نص، أي التعامل مع المضمون دون الشكل.

نجد التوجه نفسه والتعامل مع النصوص عند ثلثة من مترجمي العصر الذهبي للترجمة خلال العصر العباسي وعلى رأسهم حنين بن إسحاق، الذي يقوم أسلوبه في العمل على: "تأويل حقيقي للنص المطلوب ترجمته، وتلك مرحلة وعاما بعمق المترجم دون أن تصاغ أهميتها النظرية على مستوى الترجمة. ويبدو هذا التفسير، أو التحليل للخطاب، إذا أردنا استخدام تعبير جان دوليل، بوضوح عبر رسالة حنين باعتبارها منهجية الترجمة المتبعة في مدرسته"⁽³⁾.

لم يكن التطور الذي شهدته الدراسات الترجمةية خلال العقدين الآخرين من القرن الماضي إلا امتدادا للتحويلات التي شهدتها حقول أخرى كاللسانيات والأدب وغيرهما من المجالات الفكرية، فهجر المنهج اللساني الذي ساد العمل بقواعده فترة من الزمن أضحي ضرورة تعليلها سمة العجز عن إدراك المعاني الضمنية التي كثيرا ما تبقى حبيسة الخصوصية مهما كانت طبيعتها: لغوية، ثقافية أو فردية.

من هنا قفزت تلك المستويات اللغوية المتأرجحة بين الكلمة والجملة بوصفها وحدات دلالية، إلى ما يسمى باللسانيات النصية وهي إجراء سابق لمفهومه على حد قول عبد الرزاق بنور الذي لا يعتبر التحليل النصي أو الاستدلالي وليد هذه المستجدات، فالإنسان أدرك قبل القرن العشرين ماهية دراسة وتحليل مدونات ونصوص أكبر من الملفوظ البسيط⁽⁴⁾.

1- التفسير في الترجمة

يشير جورج شتاينر (Steiner.G) في كتابه "ما بعد بابل" Après Babel، إلى أن الترجمة كمنارسة وفعل إجرائي عملي يفترض دراية وفهما لكل جزئية في النص المصدر، بالإضافة إلى عنصرين آخرين وهما التفرغ وإعادة التعبير.

ويعد المنهج التأويلي أو ما يعرف بنظرية المعنى، اتجاها في الترجمة يتبعه جميع أعضاء مجموعة Esit والتي تعرف باسم مدرسة باريس III.

ويقوم مبدأ هذه النظرية على التعامل مع المعنى الحسي في مقابل المعنى اللغوي أو اللفظي، وهو تمييز تصفه ليدرير (Lederer) بأن جزأه الأول: "يقتنص المعنى من خلال تفسير للنص ككل فيما يكتفي الجزء الثاني بالعناصر اللغوية مثل المفردات، العبارات والاصطلاحات والتراكيب النحوية."⁽²⁾

أدى اختلاف اللغات وتعددها إلى ضرورة التفكير في وسيلة لفهم الآخر، فكانت الوسيلة هي الترجمة بامتياز. إن هذا الحدث كما يسميه بول ريكور (Paul Ricoeur) يحيل على جوانب من أسطورة بابل التي انتهت بتشتت وانتشار ألسنة الناس جميعا، إذ "قالوا هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء ونضع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه الأرض، فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما... وقال هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض"⁽¹⁾ فكان الأمر كذلك إلى أن تحقق التقارب والتواصل بفعل الترجمة، هذا الإجراء الذي جمع بين الفن والعلم في آن واحد.

إن العملية الترجمةية بوصفها تفسير لعملية فكرية وإجرائية تطرح أمرين أو مدخلين أساسيين هما النقل والتأويل، فإذا كانت المقاربة الأولى تقف عند المعنى الضيق للكلمة، فإن الاشتغال على النموذج التأويلي يروم التغلغل إلى ما هو مستتر خلف القول للتمكن من الوصول إلى قصدية النص شفويا كان أم مكتوبا. فما العناصر المصاحبة التي لا بد من تطويقها بلوغ مفاد القول؟ وما حدود الفعل التأويلي في ظل أبعاد الخطاب الدلالية والسياقية والأسلوبية والثقافية؟

I- الترجمة والتأويل

ارتبطت ترجمة أي نص في عمومها بمرحلة أساسية، يعكف فيها المترجم بوصفه أول متلق على تفسير أفكار ومعاني النص مشروع الترجمة، هذا النص المجبور على عبور مسافات وثقافات وألسنة ليستقر في مكان آخر وبملاصم مغايرة أحيانا غير تلك التي كان عليها من قبل. وقد يتجلى هذا المتغير في المعالجة اللغوية والأسلوبية أحيانا، لكنه يأخذ أحيانا كثيرة بعدا آخر ترجح فيه كفة التأويل فيأخذ النص أشكالا عدة، مما يجعل فائضه من الدلالات والمعاني يدخله في دوامة التفسير والتأويل المفتوحين على قراءات متعددة.

يصبح النص في المعالجة التأويلية محور تركيز، وهو إجراء يسعى إلى الكشف عن مقاصد الكاتب وأفكاره الضمنية غير المصرح بها.

ويتضح في هذا السياق أن الوحدة الترجمةية التي لم تكن تخرج عن نطاق المفردة والجملة بحسب النظرة التقليدية، قد اختفت ليحل محلها النص ككل، وهو طرح يتقاسمه الكثير من دعاة التصور التأويلي معللين ذلك: "بأن معنى النص (الذي هو مفتاح الخطوات التفسيرية المتعلقة بفهم النص الأصلي) هو بدوره التعبير عن "أريد القول" الذي جاء عن طريق مرسل هذا النص، وهنا نجد أن وحدة المعنى هي العنصر الأصغر الذي من خلاله يمكن التوصل إلى التساوي الترجمةي"⁽²⁾.

مجردة تلعب دور جهاز مستقبل للمعلومات الجديدة التي يتضمنها النص، وأخيراً السياق الظرفي الذي يعكس مجموع العناصر غير اللغوية المصاحبة لظهور هذا النص، ومنها الظروف التاريخية، الثقافية، الجغرافية، الاجتماعية والسياسية.....الخ.

يرى مؤيدو هذا المنهج أن إدراك المعنى وفهم الخطاب لا يتحقق إلا بالإحاطة بالسياقات جميعها، معتبرين إياها بمثابة الروافد الأساسية للسياق العام الذي يرفع اللبس ويخلص الفعل التأويلي، ويُمكن من تحصيل المعنى وفهم الخطاب فهما جيداً في اللغة المصدر قبل إعادة صياغته.

من هنا يتضح أن العناصر المولدة للمعنى تجمع بين ما هو لغوي وغير لغوي، وهذا الزخم الدلالي لا يتأتى تطويقه إلا بعد عملية حصر لكل المكونات التي ترمى إلى تفسير ما لم يصرح به: "فالنص إذا نسيج من الفضاءات البيضاء والفجوات التي يجب ملؤها، وأن الذي أنتجه (أرسله) كان ينتظر دائماً بأنها ستملأ، وأنه تركها لسببين:

أولهما أن النص له وتيرة دلالية بطيئة (أو اقتصادية) تعيش على فائض قيمة المعنى الذي يدخل فيه المتلقي.... ثم لكي يمر النص، شيئاً فشيئاً، من الوظيفة التعليمية إلى الوظيفة الجمالية، يريد أن يترك للقارئ المبادرة التأويلية.⁽⁸⁾

يتضح إذن أن النص نسيج من المسكوت عنه، مما يفترض من القارئ القدرة على تحليل العناصر المكتملة لسلسلة العناصر اللغوية المعبر عنها. وتجعل هذه العملية النص بناءً قابلاً للهدم لاكتشاف جزئياته بشكل منفصل، وهي وتيرة تجعل المعايير الظاهرة لا تعكس الدلالات الثابتة والديناميكية بشكل دقيق، وهو الأمر نفسه الذي أشارت إليه كل من Seleskovitch سليسكوفيتش وليديريير (Lederer) من خلال مرحلة التفريغ Deverbalisation.

وتقولان في هذا الصدد بأن: " التفريغ اللغوي والوعي بالمعنى واللاوعي باللغة وهو مصطلح اعتمدته الباحثتان لخصوصية تطبيقه على النصوص الشفوية، والأفكار الرئيسية في النظرية التفسيرية للمدرسة (...) والفهم مرحلة وعي قائمة تنفصل عن المحفزات التي أدت إليها... فالأشكال تتلاشى وتتوارى بينما تتداعى المضامين التي حركتها الإشارة مشكلة بذلك عددا لا يحصى من الدوائر الشارحة مختلفة فيما بينها في استمراريتها، وبحيث تنضم بعضها إلى المخزون المعرفي، و تتحول إلى جزء من المعرفة عند الفرد"⁽⁹⁾.

ويستدعي إجراء التفريغ إمكانات خاصة عند الانتقال من نصوص محررة (ترجمة تحريرية) إلى نصوص شفوية (ترجمة فورية أو تتابعية) Traduction simultanée ou consécutive

ومن جهتها تستند سليسكوفيتش (D. Seleskovitch) بوصفها أبرز الباحثين في نظرية المعنى- في منهجها على جملة من الملاحظات والاستنتاجات العملية المستمدة من خبرتها الطويلة في مجال الترجمة الشفوية.

وقد حققت هذه التأملات جملة من التحولات في الرؤية الدلالية المعتمدة على الأبعاد اللغوية وآليات المقارنة السائدة آنذاك، إذ ركزت سليسكوفيتش (D. Seleskovitch) على هذا الفرع بالدراسة والتحليل في أحد أبحاثها، وقد خلصت إلى أن المترجم، خاصة في الترجمة التتابعية، مطالب بالابتعاد عن المنطوق من النص ذي الخاصية السطحية والاجتهاد في الإحاطة بأفكار النص ومقاصد المرسل " Emetteur" لتعاد صياغة كل العناصر الواردة المصرح بها والضمنية معاً، والتي تشمل المكملات الإدراكية والمخزون المعرفي وكذا السياق، وقد رأت أن هذا الإجراء يمر بمراحل ثلاث تشمل الترجمة الفورية والتتابعية معا وهي:

1- "مرحلة الاستماع لدال لغوي يحمل معنى وإدراك الرسالة (الإطار اللغوي) وفهما (إطار الفكر والاتصال)، من خلال التحليل والاستنتاج.

2- النسيان الفوري والإرادي للمنطوق، والغاية هي أن نمسك بالصورة الذهنية للمعنى بشكل يزيد عن الحد (المفاهيم والأفكار).

3- إنتاج دال جديد في اللغة المترجم إليها، ويجب أن يكون مرهونا بشرطين: نقل مكونات الرسالة الواردة في الأصل والتواءم مع المتلقي."⁽⁶⁾

لم تقتصر الضوابط والآليات الإجرائية التي استخلصتها الباحثة على الجانب الشفوي من الترجمة فحسب، إذ تم توسيعها لتشمل الترجمة التحريرية بفروعها من نصوص أدبية وبراغماتية.

وتعد مرحلة القراءة (أي الفهم) من أهم الإشكاليات التي تناولها هذا المنهج، إذ اعتبر بول ريكور عملية القراءة في حد ذاتها ممارسة للتأويل، وهي الفكرة نفسها التي يقف عندها غادامير حين يعتبر فعل الفهم مرادفاً "للتطبيق" بالمعنى الهيرومونوطيقي للكلمة.

غير أن الهدف الأساس لعملية القراءة قد لا يتحقق بفعل قراءة عابرة كما يشير إلى ذلك دوليل (Delisle): "إذ يمكننا أن نطلع بصرياً على الرموز الكتابية لنص مكتوب بلغة أجنبية، وأن ننطق هذا النص في أذهاننا دون أن نفهم المعنى الذي ينقله"⁽⁷⁾

من هنا وجب التحول إلى مستويات داعمة لفعل الفهم وهي السياق اللغوي الذي يكشف لنا عن الدلالات المتعددة ذات الطبيعة اللامتناهية، والتي يصعب تحديدها إلا في إطار سياق معين، ثم السياق المعرفي وهو يضم مجموع الأفكار التي يحيل عليها النص وهي تأخذ شكل تمثيلات

لبعض أو كل المقاطع المبهمة أو المجازية، فهو كما تشير إلى ذلك كل من ليدرير وسيليكوفيتش (Seleskovitch et lederer) إجراء يعنى بفك شفرات الرموز اللغوية وإعادة نقلها إلى فضاء لغة أجنبية مع دحض تلك المعادلات المتاحة خارج السياقات⁽¹²⁾.

من هنا يتأكد وجود اختلافات جمة بين العملية التفسيرية التي تتم بين نصوص كاملة وبين نقل الشفرة التي تمثل البنى والتراكيب اللغوية.

أما دويل فيرى: "أن نص الخطاب لا يحمل المعنى وإنما يشير إليه فقط، باعتبار أن الرموز المكونة له تشير إلى أشياء أخرى مختلفة عنها. فالمعنى إذن يصبح استنتاجاً منطقياً يقع بين المستوى التراكيبى والظرفي. من هنا تكون العملية التفسيرية ممثلة في الوعي بدينامية العلاقات بين المفاهيم والرموز اللسانية الممثلة في شكل خطاب"⁽¹³⁾.

ومن هذا المنظور أمكن اعتبار المعاني الجزئية لمكونات الخطاب بمثابة القاعدة التي يتأسس عليها المعنى الكلى وهي أيضاً المادة الكاشفة عن مدى تماسك النص وانسجام أفكاره.

ويحاول الكثير من المهتمين بالترجمة جعل مصطلح التفسير أو الترجمة التفسيرية مرادفاً للترجمة التأويلية التي تستقى جذورها من اجتهادات الشرح والتفسير للنصوص المقدسة وخاصة الإنجيل. والمعروف أن تاريخ الترجمة في الغرب ارتبط بتاريخ ترجمة الكتاب المقدس، ويعتبر الإنجيل أكثر الكتب ترجمة، فقد ترجم من اللغة الآرامية إلى اليونانية ومنها إلى اللاتينية ثم إلى مختلف اللغات الأوروبية.

ولا مناص كذلك في هذا السياق من الوقوف عند مصطلح "الهرمينوطيقا" الذي لا تتضح حدود تداوله من تلك المتعلقة بمصطلح التأويل، وهو تداخل يمكن تفسيره باشتراكهما في خاصيتي المنشأ والعرض، "ويعد فريديريك شلايمخر Friedrich Shleiermecher عالم اللاهوت الألماني أول من صاغ نظرية التأويل العام L'herméneutique générale وهو ذو فضل في توسيع دلالة هذا المصطلح فيما وراء نطاق اللاهوت أو المشكلات الجزئية في تفسير النصوص الدينية. بحيث أصبح المصطلح يمتد ليشمل علوم التفسير، كالفيولوجيا والقانون والتاريخ إلى جانب تفسير النصوص الدينية"⁽¹⁴⁾.

3- غايات المعنى وضرورات الفهم

يقوم مفهوم التفسير والتأويل والهيرمونوطيقا (وهذه الأخيرة كلمة معربة) على خاصية مشتركة، هي الفهم وإدراك المعنى والغوص فيما وراء المصريح به، ولئن كانت هذه المفاهيم تحيل على بعضها في اختزالية تجعل منها مترادفات، إلا أنها في حقيقة الأمر تنطوي على صفة التمييز والتباين طبقاً لمرجعيتها وخصوصية تداولها في النصوص الدينية

إذ يتسم الاشتغال على هذه الأخيرة بجملة من التعقيدات العقلية والنفسية التي تكبل الترجمان أثناء السيرورة الترجمية كالسرعة في إيجاد القوالب الناقلة للمعنى في اللغة الهدف، استحضار الذاكرة، والتحكم في آليات التحليل بما يسمح بالولوج إلى طبقات الخطاب المحصورة ضمن قصيدة الكاتب.

من البديهي أن تنتهي مرحلة التفريغ بالشروع في استغلال جميع العناصر المشكلة للنص، لإعادة صياغته من جديد في لغة جديدة ضمن أطر ثقافية واجتماعية أخرى وهذا ما يشير إليه دويل عندما: "يعرف النشاط الترجمي بأنه عملية يتم من خلالها تحديد معنى الرموز اللغوية، على أساس ما يراد قوله، وتجسد في نص وبعد ذلك تتم عملية إحلال كامل لهذا النص من خلال الرموز المتعلقة باللغة الأخرى"⁽¹⁰⁾.

وتعد عملية التأويل، عملية إبداعية خلاقة تصبو إلى إبراز قصيدة الكاتب، وهي تفصح عن رغبة في التواصل يحركها وعى سابق عن التعبير، كما تسعى إلى الكشف عن مضمون النص الظاهر منه والخفي، مما يخرج النص الجديد عن إطار النمطية.

يثير الكثير من الباحثين مسألة التوافق والاختلاف بين النص المصدر والنص الهدف: "إذ يرى أحد المهتمين بهذا الحقل أنه يمكن النظر في ثلاثة أوجه للصياغة اللغوية للنص المترجم... بما يناسب الاستعمال الجاري للغة المستقبلية وهو توافق المفردات وحقل المعنى، والقواعد ومبادئ النحو الجملي والنصي للغة المستقبلية. ففي النص المترجم يضطر المترجم إلى أن يستخدم هنا وهناك كلمات غير واردة أو محتملة الوقوع في اللغة المستقبلية. ففي نقل المعنى مثلاً كثيراً ما يكون التقسيم لهذا الحقل فيما يتعلق بظاهرة ما يحوى كلمات مختلفة من حيث العدد والمعنى في اللغتين المعنيتين"⁽¹¹⁾.

إن أهم ما يلفت الانتباه في هذه المرحلة هو التركيز على التخلص من بعض عناصر النص الأصلي كالمفردات والتراكيب وطريقة استخدامها لتوصيل المعنى، بوصفها وسائل تعبيرية مقيدة لحرية التفسير والتشبيث أكثر بما أوردته هذه القوالب اللغوية من المعاني المشكلة للخطاب.

2- التفسير، التأويل والهرمينوطيقا

يأخذ المعنى شكل ناتج العملية الذهنية المترتبة عن الفهم، وهو بمسمى آخر ناتج العملية التفسيرية أو التأويلية وهي المرحلة التي تكشف عن ديناميكية المعنى الناتج عن تعدد القراءات وثناء المادة الدلالية.

وقد ارتبط مفهوم التفسير بآليات الشرح والتحليل التي ترمى إلى إزاحة الغموض والضبابية لمادة نصية ملفوظة أو مكتوبة، وهو من هذا المعنى يتضمن التحليل المفصل

ووفقا لما سبق فإن التأكيد على بلوغ المعنى الحقيقي لقصدية المؤلف أمر يصعب الإمساك به أمام حركيته نظرا لتغير الظروف الموضوعية والتاريخية.

1- الانفتاح الدلالي

تتيح النصوص الإبداعية المعروفة بانتظامها تنظيميا توليديا، إمكانية قراءتها من زوايا عدة، قراءة يستدل بها عن جوهر الخطاب وخلفيته الحقيقية مما يفتح المجال أمام حركية غير مسبقة تتجلى في صور كثيرة ومسميات أكثر منها تعدد المعاني-والنزيف الدلالي ولا نهائية الدلالة والانزلاق الدلالي.... وغيرها وهي كلها مصطلحات تصب في اتجاه واحد نحو الانفتاح الدلالي.

إن تحديد مفهوم الانفتاح الدلالي مشروط بتحقيق قراءة إبداعية منتجة ومثمرة، بمعنى أنها قراءة لا تروم الظاهر بقدر ما تسعى إلى مساءلة المحجوب من المعاني. إذ يقوم المصطلح على ربط الانفتاح بحتمية ثراء النص دلاليا وأسلوبيا، وتفسير ذلك بأن هذا الزخم من الألفاظ المشكلة للنص الأدبي مشحونة بشحنات دلالية مركبة ومعقدة تفضي إلى سيل من القراءات غير المحدودة المتأرجحة بين دلالة القصد وزبنيّة المعنى: " فالنص يعيش صراعا دائما بين كونه قولا وكونه تأثيرا، وبين مدلوله الذي يرتبط وجوده بإرادة خارج اللغة وداله الغيور الذي يأبى أن ينصاع لغير إرادته الذاتية في إنشاء معناه. وأن هذا الصراع الدامي، بل الوحشي الذي يمزق المعنى أشلاء ويرمي بها فوق النفايات المعجمية ، (...)، فيتوه معه في وادي الارتحال والتغير، ليخرج اللغة من مفهوم الأداة إلى مفهوم آخر، تصير اللغة فيه بانية لما تنجزه ومولدة لما سينجز. وهنا يصبح من الضروري عدم الخلط بين مفهومين للغة: الأول يتلاءم مع طبيعة لغة الخطاب النفعي -اللغة أداة اتصال -كما جرى على تعريفها دي سوسير ومارتنيه وغيرهما. والثاني، يتلاءم مع طبيعة لغة الخطاب الأدبي حيث تكون اللغة فيه "انجاز أعمال" كما نلمح ذلك في قول بارت وجاكسون، وكريستيفا، وجان كوهين وغيرهم" (19).

وتبعا لمقتضيات القراءات المتعددة وما ينجر عن ذلك من سيولة التخمينات والافتراضات، وتشتت للمعاني، يصبح النص في موقع انفتاح على ممارسات ترجمية تأويلية متباينة، منها ما يخضع لضوابط علمية تنأى بطبيعتها عن كل انزلاق وانفلات دلالي، ومنها ما يؤثر اختراق التراكيب والبنى اللسانية المشكلة للنص (النص الأدبي على وجه التحديد) مما ينتفي معه محدودية الدلالة، وينقل الوحدات من مجال الدلالات المعجمية الساكنة إلى فضاء المعاني المتحركة والمتغيرة.

إن اختلاف مستويات القراءة وتباين المقامات وأحوال القراء يجعل من الإجراء الاستكشافي لأي نص-أي القراءة بمفهومها البراغماتي، المؤشر الحق على حياة النص وإلغاء كل ما يمكن أن يرميه بسمّة الجمود والموت، فالقارئ (قارئ النص الأصلي أو

والفلسفية بوجه خاص. ويرى الكثير من المشتغلين في تحديد المصطلحات أن الفهم يحيل على التفسير أو يبرز كنتيجة له أو العكس، وأن ما ورد في تعريف كلمة "فهم" في لسان العرب لابن منظور يجعله مقابلا لـ:علم بالشيء، عقله، وعرفه، ولهذا كي يتحقق الفهم: "من الأحسن أن يعلم المترجم أن هناك عادات ومواقف وتصورات لغوية يمكن أن تمنع عنه الفهم، وعليه أن يقف عندها، ويواجهها بالشك المنهجي، ألا يأخذ أي شيء على أنه صحيح إلا إذا تيقن من ذلك، أن يفحص كل شيء (...). وعندما يفهم النص ... يمر إلى الإجراء الترجمي" (15).

من هنا يكون الفهم عملية ذهنية وفكرية لاحقة لمرحلة التمكن من النص وتدوقه والإحاطة بمعانيه وفيه يقول هيجل أن: "المعنى هو هذه الكلمة العجيبة التي نستعملها بطريقتين متعارضتين في الظاهر، ففي الحالة الأولى تدل على أعضاء الإدراك الحسي، وفي الحالة الأخرى نسمي "المعنى" بالدلالة، والفكر والمظهر العام للشيء" (16).

فمن الخطأ أن نتصور المعنى في حدود ما يعنيه الشيء، إذ تفترض عملية إنتاجه اختراق الأطر المؤدية إلى الكشف عن سبل التبليغ والإفهام. فالفهم وإن كان في جوهره تكامل بين معطيات دلالية وإيحائية تتحقق عن طريق التلميح والاستعارة، فإنه يقتضي وجود اتفاق مسبق يربط بين الفهم والإفهام أو التفاهم.

إن هذا الطرح المستفيض لكلمة "فهم" يجعل منه حلقة محورية خاضعة للتجربة والتطبيق والاتفاق، وهذا ما يجعل كانط يؤكد على أن: "التجربة هي إدراك مفهوم، غير أننا نفهمها إذا ما تخيلناها بمعنى التفاهم" (17).

من هنا وأخذا في الحسبان الطرح السابق لمعرفة ماهية الفهم، يمكننا القول بأن معنى الفهم يوحي بمعنى سكوني ثابت يصل إلى العقل والقلب، بعكس معنى التفسير Exégèse فهو يحيل على الدينامية أو الحركية والاستمرارية لوجود سلسلة لا محدودة من المعاني. وقد يكون مفهوم التفسير من المفاهيم التي يصعب تحديدها نظرا لوجود علاقة دائرية، تصلها بالتأويل والهيرومنتيقا وهي مفاهيم تحيل على بعضها في دائرة مغلقة.

II. التأويل وفائض المعنى

إن تعدد مصادر مكونات النص وكذا العناصر الميسرة لاستقاء أفكاره يجعله أرضية خصبة لتنوع معانيه وغزارتها، وهو ما يدفع بعملية التأويل كما تشير إلى ذلك ليديرير: "إلى استجلاء مضمرات القلوب واستشعار خلجات النفوس واستكناه خفايا العقول وهذا أمر محال بلا معايير يستبان بها ويقاس، لاسيما وأن رواد المدرسة التأويلية يعترفون بأنه ليس هناك دوما معنى واحد، لأن المؤلف وقراءه لا يتصورونه أبدا على نحو متشابه تماما" (18).

العملية التأويلية، ومنعاً للانزلاق، والتسبب في قراءة النص الأدبي لا بد من وضع موانع وحواجز لكثير من القراءات المنفلتة.⁽²⁴⁾

وعلى ضوء ما سبق، يمكننا القول بأن القصديّة في النصوص الأدبية تعدّ عنصراً مشتركاً بين الأطراف الثلاثة وهي نوايا المؤلف، ومقاصده بالإضافة إلى إستراتيجية متلقيه، وهي الفكرة التي يؤكدّها أمبرتو إيكو بقوله: "عندما يتم إنتاج نص ما لا لكي يقرأه قارئ بعينه، بل لكي يتداوله مجموعة من القراء، فإن المؤلف يدرك أن هذا النص لن يؤوّل وفق رغباته هو بل وفق إستراتيجية معقدة من التفاعلات التي تستوعب داخلها القراء بمؤهلاتهم اللسانية باعتبارها موروثاً اجتماعياً."⁽²⁵⁾

خاتمة

نخلص في النهاية إلى القول بأن العملية الترجمة ارتبطت منذ البدء بعملية التأويل، فكان الفهم هو الترجمة والانفتاح الدلالي نناج القراءات المتعددة والمتنوعة بحثاً عن المكبوت وراء المكتوب. وهذه العملية ضرورية لتحقيق معادلة الفهم والإفهام وتجاوز كل غموض قد يتجلى على مستوى السياق اللفظي.

الهوامش

1- بول ريكو، عن الترجمة، ترجمة حسين حمزي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص ص 41-42

2- HURTADO ALBIR Amparo Traducción y Traductología introducción a la traductología. Cátedra - Madrid 2004. p 302.

3- مريم سلامة-كار - الترجمة في العصر العباسي - مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة - ترجمة نجيب غزاوي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1998 ص 42.

4- Voir : BANNOUR Abderrzek. Texte, contexte et situations de discours. Dans actes du colloque- la Linguistique textuelle : etats et perspectives. Avril 2005. P46.

«Pourtant l'analyse textuelle ou discursive n'est pas nouvelle. Ce n'est pas au XXeme Siecle que l'homme a appris a approcher et analyser un corpus . ni une entité plus grande que l'énoncé simple »

5- LEDERER Mariane. La traduction aujourd'hui. Ed Hachette. France. 1994. P51

« La différence essentielle entre équivalences et correspondances : les premiers s'établissent entre textes , les secondes entre des éléments linguistiques : mots syntagmes , figements ou formes syntaxiques ».

HURTADO ALBIR Amparo. Opcit p417

Las tres etapas son:

« 1º audición de un significante lingüístico portador de sentido; aprehensión (ámbito de la lengua) y comprensión (ámbito del pensamiento y de la comunicación) del mensaje mediante análisis y síntesis;

2º olvido inmediato y voluntario del significante para no retener más que la imagen mental del significado (conceptos, ideas.etc.);

3º producción de un nuevo significante en la otra lengua que debe responder a un doble imperativo: expresar todo el mensaje original y adaptarse al destinatario. »

7-Jean Delisle. L'Analyse du discours..... Opcit . P70

« On peut très bien visualiser les signes graphiques d'un texte

المرجم وقارئ الترجمة) محكوم بمرحلتين من القراءة أولاهما القراءة الاستكشافية والثانية القراءة الاستراتيجية. فالأولى هي مفتاح القراءة الثانية، بيد أن حرية القارئ في التأويل محدودة بسبب تشعب النص بالمقومات الدلالية والشكلية.

إنه لمن نافلة القول بأن تعدد القراءات إجراء يرمي إلى تسليط الضوء على زوايا وجوانب عديدة من النص، وهي أيضاً مسوغ لتعدد الترجمات بوصفها المعيار الأساس لأزلية الكثير من النصوص التي لم تمت بموت أصحابها، بل وأكثر من سحر ذلك فإنها لم تفقد شيئاً من طاقاتها التعبيرية ولا من سحر مضامينها، فهي نصوص يصح وصفها بالخالدة وحسبنا هنا أن نذكر منها، دون كيخوتيلسرفانتيس⁽²⁰⁾ وروميو وجولييت، هاملت وأوتيلو، وتاجر البندقية لشكسبير⁽²¹⁾، الكومديا الإلهية لدانتي⁽²²⁾، ودون خوان والبخيل لموليير⁽²³⁾.

2. سلطان القصديّة

تتميز الأعمال الأدبية كما هو متعارف عليه بشحناتها الدلالية وطاقاتها التعبيرية غير النمطية، مما يجعلها عصية على الفهم والإدراك، وبالتالي فهي تستوجب عناء ومشقة للانتقال بمضامينها ومعانيها من ضفة النص الأصلي إلى الضفة المقابلة ألا وهي اللغة الهدف (اللغة المترجم إليها). غير أن هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر كونها قد تلحق الأذى أحياناً بالنص المراد ترجمته، وهي في الوقت ذاته السبيل إلى التعرف على ما هو مجهول ومستتر لدى الآخر، استناداً لرأي أنطوان بيرمان (Berman) الذي يرى في الإجراء الترجمي تجاوزاً لتقنيات نقل الألفاظ والعبارات إلى ما هو أعمق، أي محاولة إدراك معنى النص ومرامييه وغاياته خاصة وأن النص وصاحبه ينزلان دائماً منزلة الغرابية، غرابية تصنعها مقاصد النص ومقاصد مؤلفه.

ويعد تفعيل الجوانب الاستكشافية لدى المتلقي بمثابة الأفضلية الأساسية التي تقوم عليها المقاربات التأويلية، والتي وإن بدت متحررة من كل سلطة أو قيد إلا أنها تخضع لسلطان القصديّة أو القصد.

ولاشك أن كل إجراء تأويلي يقوم على قدرة المتلقي، على تعرية مقاصد المؤلف الحقيقية مما يحول دون الولوج إلى متاهات التأويل المضللة التي تنفتح على فضاء دلالي لا نهائي، يتخطى أحياناً كثيرة حدود النص ومعاله. وللإشارة فإن هذه المقاصد تقع موقع الركن المركزي في المقاربات التأويلية، وهي التي تحدد هوية النص موضوع الترجمة وانتمائه الحضاري والثقافي. ولا ريب في أن تلك المقاصد لا يمكن تطويقها إلا من خلال جملة من الضوابط كما يشير إلى ذلك طه عبد الرحمن بقوله: "أن المحجوب من النص هو فضاء الانفتاح الدلالي، غير أن العوامل الذاتية للمتلقي هي التي تحرك دواعي التحريف والافتراء على النص، وبقدر حجم التأويل المنحرف يحدث الانزلاق إلى متاهات التسلط والإملاء، فالجزء المسكوت عنه مكون مركزي في كل النصوص الأدبية، وهو الأصل في

انظر الترجمة الأدبية ملاحظات وتجارب في لوجوس-ترجمة أحمد درويش
النصوص الأدبية المشكلات والحلول. العدد الثالث. مجلة جامعة القاهرة. 2007.
ص 67

22- أليخيري دانتي "1321-1265" (Allighieri) شاعر إيطالي اشتغل بالسياسة
وارتقى إلى مناصب الدولة بفلورنسا، لكنه

انسحب بعد ذلك ليتفرغ للأدب والشعر من أعماله، الأغاني، الحياة الجديدة
وأهمها على الإطلاق رائعته الكوميديا الإلهية التي كتبها بين 1306-1308
و1321.

23- موليير (1622-1673) كاتب مسرحي وممثل فرنسي، بعد حصوله
على شهادة الكفاءة في المحاماة، هجر مهنته الأصلية ليؤسس فرقته المسرحية
سنة 1643 من أعماله، مدرسة السيدات، مريض الوهم، دون خوان والبخيل.

24- عبد الرحمن طه. تجديد المنهج في تقويم التراث. المركز الثقافي العربي.
بيروت 1994. ص 139

25- أيكواميرتو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة وتقديم سعيد
بنكراد. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء 2000 ص 85-86.

ويسوق الكاتب في كتابه حدود التأويل، مثال القنينة الحاملة لنص مجهول
المؤلف وظروف كتابته.

« Supposant que je trouve le texte de Wordsworth dans une bouteille,
et que je ne sache ni quand, ni par qui il a été écrit. Que se passe-t-il ?
Après avoir rencontré le mot gay, je regarderai si le cours successif
du texte autorise une interprétation sexuelle, pouvant m'amener à
penser que gay véhicule des connotations d'homosexualité. si c'est
clairement le cas, ou du moins si ça l'est de manière persuasive,
je peux formuler l'hypothèse que ce texte n'a pas été écrit par un
poète romantique mais par un écrivain contemporain qui imitait
probablement le style d'un poète romantique. »

Pour plus de détails.

Voir: Umberto Eco. Les Limites de l'interprétation. Grasset. Milan 1992. P13

étranger ou prononcer mentalement les sons qu'ils symbolisent ,
sans pour autant comprendre les sens dont il sont porteurs»

8- أحمد بوحسن. نظرية الأدب. القراءة- الفهم- التأويل. دار الأمان. الرباط
2004. ص 31.

9- HURTADO ALBIR Amparo, opcit PP 326-327.

« La fase de desverbalización, la conciencia del sentido , la no
conciencia de la lengua, son ideas centrales de la teoría interpretativa
de l'ESIT (...). Puede decirse que cada acto de comprensión es una
toma de conciencia que persiste , disociada de las estimulaciones
que la han provocado (...). Las formas se desvanecen , y desaparecen
mientras que los contenidos movilizados por la señal se asocian a
recuerdos anteriores constituyendo innumerables metacircuitos
de duración variable , algunos se integran en el bagaje cognitivo y
se convierten en una parcela del saber del individuo . »

10- Jean Delisle. L'Analyse du discours comme méthode de
traduction. Opcit P72

11- عمر شيخ الشباب، التأويل ولغة الترجمة. دار الهجرة. بيروت. ص 43

12- HURTADO ALBIR Amparo. Traducción y Traductología...-
opcit pp 323-324

13- DELISLE Jean. L'analyse du discours comme méthode
de traduction. Initiation à la traduction française de textes
pragmatiques anglais. Théorie et pratique. Ottawa, presse se
l'université d'Ottawa. Coll « cahiers de traductologie » 1980, P 73.

« En effet le texte d'un message ne contient pas le sens, il ne fait que
pointer vers lui, puisque les signes qui le composent renvoient à
autre chose qu'à eux-mêmes.

Le sens se définit donc comme une synthèse originale se situant au
carrefour des références structurales et situationnelles. L'analyse
exégétique ou (L'interprétation) correspond a une prise de
conscience réfléchie de la dynamique des rapports entre référents
et signes linguistiques combinés en un message. »

14- توفيق سعيد في ماهية اللغة وفلسفة التأويل - مجد. المؤسسة الجامعية
للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. 2002 ص 87.

15- ينظر: المودن حسن، من أجل مقاربة علمية للترجمة. في مجلة فكر ونقد،
العدد 22 أكتوبر 1999، الدار البيضاء، ص 53.

16- بوحسن أحمد. نظرية الأدب... مرجع سابق ص 112.

17- المرجع نفسه. ص: 106.

18- الديداوي محمد. مفاهيم الترجمة. المنظور التعريبي لنقل المعرفة. المركز
الثقافي العربي. الدار البيضاء 2007، ص 19.

19- عياشي منذر. الكتابة الثانية وفاتحة المتعة. المركز الثقافي العربي الدار
البيضاء. 1998 ط 1 ص 18 ص 19

20- ميقال دي سرفانتيس (1547-1616) كاتب ورائد من رواد الأدب الإسباني
إلى درجة اعتباره رمزا من الرموز الفكرية والثقافية لهذا البلد، و يكفي ذكر
لغة سرفانتيس ليستشف أن الحديث يدور حول اللغة الإسبانية. قضى شبابه في
المغامرات الحربية، و قد أسر في الجزائر بين 1575-1580 وهناك تشبع بالكثير
من الأفكار التي استغلها فيما بعد في العديد من مؤلفاته، و التي نذكر على رأسها
رائعته "دون كيخوتي دي لامنشا" والتي صدر أول جزء منها سنة 1605، أما
الجزء الثاني فصدر في 1615. وكان لهذه الرواية دور كبير في الرواية العالمية
وهي تعبير عن التعارض بين المثالي والواقعي وبين الشعري والمحسوس.

21- ويليام شكسبير (1564-1616) شاعر وكاتب تراجيديات انجليزي، وأشهر
شعراء العصر الفكتوري على الإطلاق، جل مسرحياته تتمحور حول أحداث
وأشخاص تاريخيين من أشهر أعماله روميو وجوليت، تاجر البندقية، هامليت
وأوتيلو. وعن هذه الأخيرة يقال أن الأديب خليل مطران هو الذي ابتدع اسم
"عطيل" حين ترجم المسرحية وقد كتب في مقدمة كتابه أنه يحاول بهذا الاسم
أن يرد الاسم إلى أصله العربي، ما دامت الشخصية عند شكسبير هي شخصية
عبد مغربي وقد تصور أن الكاتب يحاول أن يحاكي نطقا عربيا وأنه يمكن أن
يكون "عطا الله" أو "عطيل" وقد رجح الثاني.